# ظاهرة اللحن في العربية ومشكلاتها

## د. حسين علي السعدي

الحمد الله الذي أرسل بالنبوّة عبده ، وعلمنا على لسانه حمده ورغبنا فيما عنده، ونسأله أن يصلي على نبيه محمد وعلى آله وصحبه ، وأن يهدينا بأوضح دليل الى أنجح سبيل .

فهذا مبحث التمس به بعض مشاكل اللحن الشائعة في اللغة العربية .

ليست اللغة الانسانية إلا نظاماً من الرموز الصوتية العرفية التي تصدر عن الفرد في جماعة انسانية معينة لتحقيق الاتصال الفكري والشعوري بين أعضاء هذه الجماعة .فاللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تتنفس وتنعم بالحياة إلا في أحضان مجتمع انساني ، وهي لابد ان تخضع لظواهر اجتماعية تسوقها للتغير والتطور ، فهي ليست أحجاراً جامدة لا تتبدل ، بل هي بوصفها كائناً حياً في تغيرٍ دائمٍ يشمل جميع عناصرها : الأصوات والصيغ الصرفية والتراكيب النحوية والدلالية .

إن التغير اللغوي حقيقةُ ملموسة ، ولكن هذا التغير قد يقوى تياره في عصر، ويضعفُ أو يخفت صوته في عصر ،وذلك تبعاً للظروف الاجتماعية التي تمر بها لغة ما من اللغات ، وربما كان العنصر البارز في هذا الأمر هو تعرض المجتمع اللغوي كغيره من المجتمعات بالاحتكاك وتبادل الاتصال بينها فكلما كثرت فرص الاحتكاك اللغوي كان ذلك أدعى الى أن يسير التطور اللغوي بخطاً أفسح ،وتنكمش هذه الخطوات في المجتمعات المغلقة نسبياً التي لم تسمح ظروفها الخاصة باتصال عميق مع غيرها من اللغات الاجنبية .

وقد عاش المجتمع العربي قبل الاسلام ، في شبه عزلة عن شعوب الأرض. ولما أظلت العرب رأية إلاسلام، كان لزاماً عليهم أن يخرجوا عن نطاق العزلة الذي

ضربوه من حول أنفسهم ، وأن يكسروا الحواجز التي أقاموها بينهم وبين غيرهم من الأمم ، فاندفعت مواكب العروبةِ في سيول جارفة من قبل المشرق والمغرب ، سقطت في أيديها مساحاتُ شاسعةُ تلهجُ بألسنةٍ متباينةٍ وتتكلمُ لغاتٍ مختلفةً .

وكان لابد للعرب من الاختلاط بهذه الاجناس خدمةً لدينهم الحنيف الذي اغتربوا في سبيله وعانوا من أجله ، وكان على هذه الأجناس أن تصطنع العربيةُ لها لغةً ليحققوا وجودهم في هذا المجتمع الجديد ، (ولم تزل العرب على سجيتها اللغوية في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر اللهُ الإسلام ، فدخل الناس فيه أفواجاً والتقت الجماعات الغوية المختلفة في تعلم اللغة العربية) [١]، ويفطن العلماء الى هذا التغير الذي أصاب اللغة ، ولكنهم يعدونه من الخطأ ،ويسمونه لحناً ، ويعيبونه بشدةٍ ويعدونه (هجنةً على الشريف) [٢] ويأقمن التفتيقِ في الثوبِ ، والجدريَّ في الوجهِ) [٣]، بل يعده الرسول الكريم ضلالاً ، فقد قال لاصحابه عندما لحَنَ بحضرته رجل : (رشدوا أخاكم فإنه قد ضَلَّ) [٤]؛ ويحثُ الناس على أن يصلحوا السنتهم ، فيقول: (رحم الله امرءاً أصلحَ من لسانهِ) [٥]؛ فيشمرون عن سواعدهم ويبدأون حملة شديدة من أجل تخليص العربية من هذا اللحن وتنقيتها من الفساد والخطأ الذي شاع على ألسنِ الناطقين بها من كلام مخالفٍ لسنن العرب في كلامها ،مدفوعين في ذلك كلهِ بدافع ديني هو المحافظة على لغة القرآن الكريم.

معاني اللحن :

---

[١] طبقات النحويين واللغويين ١ .

[٢] البيان والتبيين ٢ / ٢١٦ .

[٣] العقد الفريد ٢/ ٤٧٨ .

[٤] الخصائص٣ / ٢٤٦ .

[٥] المصدر نفسه .

وَرَدَ لفظ (اللحن) فيكتب اللغة بمعانٍ مختلفة ، فمن معانيه :

١. اللحْن بفتح الحاء وإسكانها : الفطنة[١] ، ورجل لحنُ :أي فطنُ يقال : لحن الرجل يلحن لحناً ، فهو لحِن إذا أصاب وفطن ، قال لبيد يصف كاتباً[٢] :

متعودُ لحنُ يعيدُ بكفهِ ا على عسبٍ ذبلنَ وبانِ

وعلى ذلك المعنى قول الرسول (ص) : (إنما أنا بشر مثلكم وإنكم لتختصمون إليَّ وعسى أن يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر فأقضي له على نحو ما أسمع منه بشيء من حق أخيه ، فلا يأخذ منه شيئاً ، فإنما أقطع له قطعةً من النار) [٣] ، وعليه قول عمر ابن عبد العزيز (تُ لمن لا حَنَ الناس كيف لا يعرفُ جوامعَ الكلمِ ! أي فاطنهم) [٤]، وعليه قول مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري[٥]:

حديثٍ اللذُّهُ هو ممَّا يه النفوسُ يُوزَنُ وزْنا
منطقٌ صائب وتلحنُ أحيا خَيْرُ الحديثِ ما كان لَحْنَا

٢. والمعنى والتبيين[٦] ، ومنه قول الله تعالى : (ولتعرفنهم في لحن القول) [٧] ، أي أي في معنى القول وفحواه ومذهبه .

---

[١] الملاحن ١٥ ، واللسان (لحن) ١٧ / ٢٦٤ .
[٢] ديوانه ١٣٨ ، واللسان (لحن) ١٧ / ٢٦٤ .
[٣] صحيح مسلم ١٣٣٧ ، واللسان (لحن) ١٧ / ٢٦٣ .
[٤] اللسان (لحن) ١٧ / ٢٦٣
[٥] مالي القالي ١ / ٤ .
[٦] المصدر نفسه .
[٧] محمد : آية ٣٠ .

٣. ومن معاني اللحن : الخطأ في اللغة يقال (قد لَحَنَ الرجلُ يَلْحنُ لحناً فهو لاحن ، إذا أخطأ) [١]، وعلى ذلك (قول معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم ؟ ، قالوا ظريفٌ ، على أنه يَلْحنُ ، قال فذاك أظرفُ له ، ذهب معاوية الى اللَّحنِ الذي هو الفطنة ، وذهبوا هم الى اللَّحْنِ الذي هو الخطأ في اللغة) [٢] .

وعند الزمخشري : (لَحَنَ في كلامه إذا مال به عن الإعراب الى الخطأ) [٣] ، ومن شواهد هذا المعنى ، قول الحكم بن عبدل الأسدي[٤]:

ليتَ الأمير أطاعني فشفيته ... من كلِّ من يكفي القصيدَ ويلحنُ

ومنه قول يحيى بن نوفل الحميري[٥] :

ألحنُ الناسِ كلِّ الناس قاطبةً ... وكان يولعُ بالتشديق في الخطبِ

ومنه قول رؤبة بن العجاج[٦] :

فُرتَ بقدحي معرب لم يلحنِ

٤. واللحنُ : اللغة ، وعليه قول عمر بن الخطاب (رض) (تَعَلَّمُوا الفرائضَ والسُّنَنَ واللحْنَ كما تعلمون القرآن) [٧] ، أراد تعلم اللغة الفصحى .

---

[١] أمالي القالي ٥ .
[٢] الملاحن ١٨ ، والخزانة ٦ / ١٩٨ .
[٣] ساس البلاغة (لحن) ٤٠٦ .
[٤] لكامل للمبرد ١ / ٣٢ .
[٥] لمصدر نفسه .
[٦] ديوانه ١٦٤ ، واللسان (لحن) ١٧ / ٢٦٣ .
[٧] أمالي القالي ١ / ٧ .

٥. ومن المعاني التي يحملها لفظ اللحن : الغناء والتجويد في القول ، وعليه قول علي ابن عميرة الجرمي[١] :

وما هاجَ الشوقَ إلا حمامةُ تغنتْ على خضراءَ سمرُ قيودها
صدوح الضحى معروفةُ اللحنِ لم تزلْ تقود الهوى من مسعدٍ ويقودها

وقول الآخر ، بريه بن النعمان الأشعري[٢] :

يميل بها وتركبه بلحنٍ إذا ما عنَّ للمخزونِ أنّا

ومنه قول ابن مخرمة السعدي[٣] :

باتا على غصنِ بان في ذرى فنن يرددّانِ لحوناً ذاتَ لولِ

٦. ومن معانيه أيضاً : التعمية او التورية والكناية عن الشيء والتعويض بذكره عن الافصاح عنه[٤] . وعليه قول القتال الكلابي[٥] :

لقد لَحَنْتُ لكم لكيما تفقهوا حيتُ وحياً ليس بالُمرتابِ

يقول ابن دريد:(إن أصل اللحن أن تريدَ الشيء فتوري عنه بقول آخر) [٦] ، وعلى ذلك المعنى ألفَ كتابه الملاحن ، وقال فيه : (هذا كتاب الفناه ليفزعَ اليه المجبرُ المضطهد على اليمين ، والمكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ويضمر خلافَ ما يظهر

---

[١] المصدر نفسه .
[٢] أمالي القالي ١ /٥ .
[٣] المصدر نفسه .
[٤] ينظر : المصدر نفسه .
[٥] اللسان (لحن) ١٧ / ٢٦٤ .
[٦] الملاحن ١٦ .

ليسلمَ من عادية الظالمِ ، ويتخلص من حيفِ الغاشم) [1] ، وقال الزمخشري: (وقيل اللحن أن تلحن بكلامك ، أي تُميلَه الى نحوٍ من الأنحاءِ ليفطن له صاحبكَ ،كالتعريض والتورية ، قال :

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الألبابِ ) [2] .

تبَّين أن اللحن له ستة معان ، والذي يهمنا هنا هو اللحن بمعنى الخطأ في اللغة ، ولكننا نجد أنفسنا أمام مشكلة في كتب اللغويين القدامى دون ان نهتدي الى نوع الخطأ الذي يقصدونه ،ولكننا إذا تتبعنا الأقوال والروايات التي حكموا عليها باللحن عرفنا أن له أنواعاً هي :

أ. خطأ يتعلق بعلاماتِ الإعراب ، مثل ذلك ما يروى أن عمر بن الخطاب (رض) مرَّ بقومٍ يرمون ، فأستقبح رميهم ، فقال : ما أسوأ رميكم ! ، فقالوا: نحن قوم متعلمين ، فقال ، عمر (رض) :لحنكم أشد عليّ من فسادِ رميكم)[3]. ومثل ما يروى أن الحجاج قال ليحيى بن يعمر :أتجدني ألحنُ ؟ ، فقال :الأمير أفصحُ من ذلك . فقال : عزمت عليك لتخبرني. فقال يحيى: نعم . فقال له :في أيٍّ شيء ؟. فقال : في كتاب الله تعالى. فقال : ذلك أشنعُ. ففي أي شيء من كتاب الله تعالى ؟، قال: قرأت: قل إنْ كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ

---

[1] الملاحن ١٦ .

[2] الكشاف ٣ / ٤٥٩ . ومثله في أمالي القالي ١ / ٦ .

[3] إيضاح الوقف والابتداء ١ / ٣١ .

اليكم) [١] فرفعتَ (أحبَّ) ، وهو منصوب . قال : لا جرم ، لاتسمعُ لي لحناً ابداً) [٢] .

ومن ذلك ايضاً ما يروى عن سيبويه من أنه كان مستملياً لحماد بنِ سلمةَ ، فاستملاه قول الرسولِ (ص) : (ليس من أصحابي أحدُ إلا ولو شئت أخذت عليه ، ليس أبا الدرداءِ . فقال سيبويه : أبو الدرداء ، فصاح به حمَّاد: لحنت ياسيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما هذا استثناء، فقال سيبويه :لا جرم واللهِ لا طلبنَّ علماً لا تلحنني فيه) [٣]. ومن مظاهر هذا اللون من الخطأ في الإعراب ، أن أحدهم جاء الى زياد ،(فقال :أصلح اللهُ الأميرَ ! توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد – متعجباً – توفي أبانا وترك بنون!) [٤].

ومن هذا الضرب ، (قال رجل للحسن البصري : يا أبو سعيد ، قال تكَسْبُ الدراهمِ شغلكَ أنْ تقول :يا أبا سعيدٍ ) [٥].

فاللحن في هذه الروايات وأضرابها يعني خروج الكلمة على قواعد الإعراب التي قررها النحويون ، فيكون اللحن بمعنى الخطأ النحوي .

ب. خطأ يتعلق ببنية الكلمة وصياغتها، فتجيء الكلمة على غير ما نطق به العرب وزناً او صياغة أو اشتقاقاً. من ذلك انه (لما بلغ عمر– رضي الله عنه– أن ابن مسعود– رضي الله عنه– قرأ (عَتَّى حينٍ ) [٦]. على لغةِ هُذيل، أنكر ذلك عليه)

---

[١] التوبة : آية ٢٤ .

[٢] طبقات النحويين واللغويين ٢٨ .

[٣] مجالس العلماء ١٥٤ ، وخزانة الأدب ٦ / ١٩٨ .

[٤] طبقات النحويين واللغويين ٢٢ .

[٥] زهر الآداب وثمر اللباب ٢ / ٧١٩

[٦] يوسف : آية ٣٥ .

[١]. ومنه (أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد ان يكتب (التابوت) [٢] على لغة الأنصار ، فمنعوه من ذلك ورفعوه الى عثمان – رضي الله عنه – وامرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش) [٣]. ومن ذلك قولهم : (بقَّل وجه الغلام) [٤] ، بالتشديد ، إنما هو (بَقَلَ) بالتخفيف ، وقولهم :(مَاه بُقلاَّعة) [٥] ، والصواب (قُلاَعَة) خفيفة اللام) [٦] .ومنه قولهم : (ظِفر اليد) ، والمسموع من العرب (ظُفر) بالضم) [٧]، وقولهم: ((زها فلان)، والصواب (زُهِيَ) مَزْهُوّ لا زاهٍ) [٨].

جـ. خطأ يتعلق بالمعاني والدلالات ، فتستعمل الكلمة في غير الوجه الذي قرَّرَهُ واضع اللغة واستعمالها فيه . من ذلك قال أحدهم : (افتحوا سيوفكم) ، يريد : سلّوا سيوفكم) [٩]. ومن هذا الخطأ في غير ما استعملته العرب ، أن احدهم (كان يقودُ فرساً ، فقيل له : ما لك؟ الا تركبه ؟ ، فقال :فَرِسي ضَالِع) [١٠] ، فاستخدم اللفظ في غير موضعه . وقد ألف المفضل بن سلمة كتابه الفاخر فيما

---

[١]شرح شذور الذهب ٥٠ .

[٢] البقرة : آية ٢٤٨ .

[٣]شرح شذور الذهب ٥٠ .

[٤]خرجت لحيته .

[٥]القلاعة : الحجر من الطين .

[٦]ادب الكاتب ٢٩٤ .

[٧]المصدر نفسه ٣٠٦ .

[٨]المصدر نفسه ٣١٠ .

[٩]البيان والتبيين ٣ / ٢١٠ .

[١٠]طبقات النحويين واللغويين ٢٢ ، والضالع : الجائر .

تلحن فيه العامة، في هذا النوع من اللحن ، يقول في مقدمته : (هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لايدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فبيَّنّاه من وجوهه على اختلاف العلماء في تفسيره) [١] . ومن أمثلة ذلك (قول الناس (المَلَّة) لوضع الخبزِ ،والصواب أن أن تقول :(أطعمنا خبز ملَّة) [٢]. ومثل ذلك (المأتم) يذهب الناس الى أنه المصيبة ، ويقولون :كنا في مأتمٍ ، وليس كذلك ، إنما المأتم (النساء) يجتمعن في الخير والشر) [٣]. وكذلك (عِرْضُ ) يذهب الناس الى أنه سلفُ الرجلِ من آبائه وأمهاته فإذا قال قائل شَتَمَ عِرْضي فلان) فإنما يريد شتم آبائي وأمهاتي وأهل بيتي ، وليس كذلك ، إنما عِرْض الرجلِ نفسه ،ومن شتم عرضَ رجلٍ فإنما ذكره في نفسه بالسوءِ ) [٤].

د. ومن مظاهر هذا الخطأ استعمال الألفاظ الأجنبية لمسميات لها اسماء بالعربية، وكثر ذلك عند أهل المدنِ ، منها أنهم (يسمون البطيخَ الخربز ، والحَوْك : الباذروج ، ويسمون القثَّاء :خياراً ، ويسمون المجذومَ ذو يَذْي) [٥].

هـ. ومن مظاهر اللحن ما يتمثل في تغيير أصوات المفردات ، والانحراف بها عن مخارجها التي كانت تجري بها ، من ذلك أن أحدهم كان ينطق الهاء بدل الحاء ، والهمزة بدل العين ، فقد قال :أ(هروري سائرُ اليومَ ؟ يريد : أحروري) [٦]،

---

[١] الفاخر فيما تلحن فيه العامة ١ .

[٢] أدب الكاتب ٣٢ .

[٣] أدب الكاتب ٢٧ .

[٤] أدب الكاتب ٢٧ .

[٥] البيان والتبيين ١ / ٢٠ .

[٦] البيان والتبين ١ / ٧٢ .

ونقل الحاء الى هاءٍ هو استخدام أعجمي ، لأنه لا يستطيع أن ينطق الحاء ، فيقول في (مُحمّد) مهمد ، وفي (حسين) هسين ، وفي (مَدَحَه) مَدَهَه[١] .

وكذلك مثل هذا التغيير يجري على السنتهم من ابدال الهمزة عيناً ، فيقولون في (عليّ) أليّ ، والغالب من هذا كان يقع من الموالي ومن تبعهم من العربِ أنفسهم[٢].

ومما تخلصت العامة فيه من الهمزة على غير قياس العربية ، فوقعت في اللحن والخطأ ،قولهم: ((رَدا الشيء يردو رادءة )والصواب الذي نطقت به العرب هو رَؤُ الشيء يردؤُ فهو رديء)) [٣]. فالعامة تبدل الواو من الهمزة وهو خطأ . ويقولون :

(استأصل اللهُ شاقَّته) [٤] والصواب (شأفته) بالهمز والتخفيف ، ويقولون : (اسكت اللهُ نامَّته) بتشديد الميم وترك الهمزة ،وتقول العرب: (نأمته) [٥]، وتقول العامة : (كلب صيني) والمأثور عن العرب : (كلب زئني) اي قصير ، والعامة تقول كلاب الحُوَّب) على وزن (فُعَّل) وهو خطأ ، والصواب (لَحْوأَب) ،موضع في طريق البصرة) [٦] والعامة تقول : (هدا يهدا) بغير همز والقياس : (هدأ الناس وهم هادؤون) و(أرض وبئة ، وقد وبئت) والعامة لا تهمز هذا ،ومثله كثير ذكره ابن درستويه في شرح الفصيح في

---

[١]ينظر : الصاحبي ٢٠٣

[٢]ينظر : البيان والتبيين ١ / ٧٢ .

[٣]تصحيح الفصيح ، الباب الثالث والعشرين ١٩٢ .

[٤]الشأفة : القرحة تخرج في اسفل القدم .

[٥]النأم : الموت .

[٦]تصحيح الفصيح ، الباب الثالث والعشرين ١٩٢ .

الباب التاسع : ٧٩ ،كل ذلك تقوله العامة بغير همز ، وهي ليست مخطئة في ذلك كله بل وافقت في ذلك لغة أهل الحجاز الذين يخففون .

ولهذا نجد ان القبائل العربية منها ما يميل الى التزام الهمزة وتخفيفها وهم قبائل البدو كبني تميم وأسد واضرابهما ،ومنها ما يميل الى التخفيف منها بتسهيلها او حذفها أو ابدالها ،وهم أهل الحجاز وساكنو الحضر[١]. والعامة تترك الهمزة في أكثر الكلام لثقلها فتقول : ((قَا الدم) ، والصواب في قياس العربية : (رقأ الدم يرقأ)) [٢] ،وعدم الهمز ليس بخطأ ، لانه وافق لغة الحجاز ، تقول العامة : (نكيت القرحة) وأصل ذلك : (نكأت القرحة أنكوها) وأهل الحجاز يسقطونها ،والعامة تقول : (اوميت) والأصل : (أومأت الى الرجل) ، والعامة تقول :ر(فَوت ورفيت الثوبَ ) والقياس:(رفأت الثوب أرفؤه) [٣] . وفي هذا تبرز مشكلة بين العامة والفصحى في نطق الهمز وعدم النطق به ، وبين من يأخذ بهذه الظاهرة من اللغويين ومن لم يأخذ بها ويعدها من الخطأ الفاحش في العربية .

- اهتمام اللغويين :

وقد اهتم اللغويون بالظاهرة (ب) ، وهي التي تختص ببنية الكلمة فكانوا في الواقع شديدي الحساسية لكل تغير يطرأ على البنية في الكم او الكيف ، فاستبدال حرفٍ بآخر أو زيادته أو حذفه ، أو صياغة المشتقات على غير منهاج العربية أو بناء الفعل للمعلوم أو للمجهول حسبما ورد عن العرب ،كل ذلك ونظيره عدّوه لحناً وراحوا يُنّبهون عليه ويشددون عليه ويصححونه في أفواه الناس يقول ابن الجوزي : (واعلم أن غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم ، وتارة يمدون

---

[١]ينظر : اللسان ١/ ١٤١ .

[٢]تصحيح الفصيح : ٧٩ .

[٣]ينظر : تصحيح الفصيح ٧٩.

المقصور ، وتارة يقصرون الممدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد ، وتارة يزيدون في الكلمة ، وتارة ينقصون منها ، وتارة يضعونها في غير موضعها) [١].

وقد بذل اللغويون جهداً كبيراً في محاربة هذا اللون ،وذلك لاستفحاله وخطورة أثره في تشويه اللغة وطمس معالمها ،وهذا النوع يمثل الحجم الاكبر من مشكلة اللحن .

كان من ثمرة هذا الجهد ظهور كتب لحن العامة ،ويعد كتاب : (ما تلحن فيه العَوام) للكسائي رائد هذه الكتب ، يقول في اوله : (هذا كتاب ما تلحن فيه العَوام ، مما وضعه على بن حمزة الكسائي للرشيد هارون ، ولابد لاهل الفصاحة من معرفته) [٢] ، ولم يعنِ الكسائي بالعَوام عامة الناس غير المتعلمين ، فهؤلاء ليسوا من أهل الفصاحة ، وإنما هم عامة المتعلمين الذين يهمهم أن يقفوا على الفصيح من الكلم، وذلك يؤلف كتابه للرشيد ، وهو ليس من عَوام الناس ، وإن كان في عامة المتعلمين .

كذلك تعد كتب المذكر والمؤنث من هذا النوع في دراسة اللحن اذ كان الدافع الى تأليفها ما يخطئ فيه العامة، فيذكّرون المؤنث أو يؤنثون المذكر ، وخاصة المؤنثات السماعية التي ليبس فيها علامة للتأنيث .

اما النوع الاخر من هذه الظواهر فيتمثل بالقسم (ج) من اللحن المتعلق بالخطأ في المعاني والدلالات ، فقد استحوذ كذلك على اهتمام اللغويين ، فنبهوا عليه وضمنوه كتبهم ، بل افرد له بعضهم كتباً خاصة وهنا نلاحظ ان اللغويين نظروا في اللغة نظرة صارمة بعيدة عن المرونة ، ولم يدُر في خُلدهم أن اللغة ظاهرةُ اجتماعية تتغير وتتبدل كسائر الظواهر الاجتماعية ،ولا يصح القول بأنها قد استقرت عند اوضاع لا تقبل لتغيير والتبديل ، وعلى ذلك فإن معظم المعاني التي عدّوها خطأ أو انحرافاً

---

[١] تقويم اللسان ٢ .

[٢] كتاب ما تلحن فيه العوام ١ .

عن المعنى الصحيح وبعداً عن الصواب هي في حقيقة الامر تغير دلالي ، وهو قسمة مشتركة بين اللغات جميعاً وقانون من قوانينها المطردة . اما النوع الاول من أنواع اللحن الذي يمثله الفرع (أ) الخاص بعلامات الاعراب ، فقد تركوا امره للغويين الذين اضطلعوا بعبء تقويمه فوضعوا ضوابط لاعراب الكلام ، وكانت ثمرة جهودهم تلك الموسوعات الضخمة في علم النحو .

صحيح ان هذه الكتب قد عالجت اللحن الذي فشا في العصر القديم ، وأحصت بمجموعة من الكلم الذي جرى في كلام الناس، واثبتوا صحيحها في كتبهم. واللحن الذي اطلقوه على مصنفاتهم ، كانوا يقصدون به اللحن الدلالي واللحن الاشتقاقي والصرفي .

- أنواع اللحن عند اللغويين :

وبايجاز يمكن ان أعزز ما ذهبت اليه من استفحال مشكلة اللحن وعدمِ عناية اللغويين بكل جوانبه وخلطهم واختلافهم في تحديد بعض مسوغاته وعدم تحديد الآخر، ومن خلال ذلك يمكن الوقوف على موضوعاتهم التي هي :

أ. لحن الدلالة :

أي ما تضعه الناس في غير موضعه ، فيطلقون الكلمة ويقصدون بها معنى مغايراً لمعناها الذي تعارف عليه العرب ، ومن امثلة ذلك :

١. (يباب جُدُد ، ولا يقال جُدَد ، إنما الجُدَد : الطرائق) [١] .
٢. (الإبهام للإصبع ،ولا تقل : البُهام جمع البُهمُ ، والبُهم جمع بُهمة ، وهي أولاد الضأن ، والبهمة اسم للمذكر والمؤنث) [٢] .

---

[١] أدب الكاتب : ٣٠٥ ، اصلاح المنطق : ١٦٧ .

[٢] اصلاح المنطق : ٣٢٠ .

٣. ومن ذلك قولهم :(فلان يتصدق) إذا أعطى ، وفلان يتصدق : إذا سأل وهذه غلط ، والصواب (فلان يسأل)وإنما المتصدق :المعطى) [١] .

٤. ومنه : (زكنت الأمر) يذهبون فيه الى معنى ظننت وتوهّمت ، وليس كذلك ، إنما هو بمعنى علمت) [٢].

٥. ومن ذلك (الظل والفيء) يذهب الناس الى أنهما شيء واحد ، وليس كذلك ، لأن الظل يكون غدوة وعشية ، ومن أول النهار الى آخره ، و الفيء لا يكون إلا بعد الزوال ، ولا يقال لما قبل الزوال فيء ، وإنما سمي بالعشي فيئاً لأنه ظل فاء عن جانب الى جانب) [٣] .

٦. ومن ذلك قولهم : (تجوع الحرة ولا تأكل ثدريها) يذهبون الى أنها لا تأكل لحم الثدي ، وإنما هو (ولا تأكل بثدييها)أي : لا تسترضع فتأخذ على ذلك الأجر)[٤] .

٧. ومنه:(قص الشاه وقصصها، ولا تقل: قس ولا قسس، والقس : تتبع النمائم)[٥].

ب. لحن البنية :

هو نطق الكلمة في أفواه العامة مختلفة بشكل ما عن النطق الفصيح لها ، وهذا النوع من اللحن شغل حيزاً كبيراً في كتب اللغة ، ومن أمثلته ما يأتي :

١. (هو زئير ، ولا تقل : زيبر) [١] .

---

[١]أدب الكاتب : ٢١ .

[٢]المصدر نفسه : ١٩٠ ، ٢٨٧ .

[٣]المصدر نفسه : ٢٣ .

[٤]المصدر نفسه : ٣١٩ .

[٥]المصدر نفسه : ٣٩٩ .

٢. هي الحِدَاة ، والجمع حِدَأ ، ولا تقل :حَدَاة) [٢] .
٣. وتقول :الكَوْسَج) ، ولا تقل : (الكُوسَج) [٣] .
٤. مِرآة والجمع مَراءٍ ، وتقول العامة : (مراة) بلا همز) [٤] .
٥. (الجَورب ، ولا تقل :الجُورب) [٥] .
٦. (هي ألية الشاة ، مفتوحة الألف والجمع (ألْيات) ولا تقل : (لِيّة) ولا (إلية) فإنهما خطأ) [٦] .
٧. ((الأنف ، ولايقال : (الأنفّ )) [٧] .
٨الجَرَزة لجمع جُرْز)، ولا تقل :أجرَزة ، والقرطة : قُرط ، ولاتقل : أقرطة) [٨].
٩. (آمِيْن مطولة الألف مخففة الميم ، ولا تقل : (آمّين) بتشديد الميم) [٩].
١٠. (نعشه اللهُ ، لا أنعشه الله) [١٠] .
١١. (اصحت السماء ، لا صحت) [١١] .

---

[١]إصلاح المنطق : ١٤٧ .
[٢]أدب الكاتب : ٢٠٤ ، إصلاح المنطق ١٤٧ .
[٣]أدب الكاتب ٣٠٥، إصلاح المنطق ١٦٢ .
[٤]أدب الكاتب ٢٨٤ وإصلاح المنطق ١٤٧.
[٥]أدب الكاتب ٣٠٥ وإصلاح المنطق ١٦٢ .
[٦]المصدران نفسهما .
[٧]المصدران نفسهما .
[٨]المصدران نفسهما .
[٩]المصدران نفسهما .
[١٠]أدب الكاتب : ٢٨٩ ، إصلاح المنطق ٢٢٥.
[١١]أدب الكاتب : ٢٨٥ ، إصلاح المنطق ٢٢٨.

١٢. (سكران مُلطَّخ ، لا متلطِّخ) [١] .
١٣. أحمق من رِجْلَة ، والعامة تقول من رِجْلِه) [٢] .
١٤. (مِلح ذرآني ، والعامة تقول : (ملح اندراني)) [٣] .

يلاحظ من هذا أن اللغويين سلكوا في مؤلفاتهم – لحن العامة– إيراد اللحن الفاشي والى جواره الصواب المهجور ، وهو مسلك لاشك أنه يخدم الغرض الذي عولج من أجله، لأنه يهدف الى تقويم اللسان وتعويد الدارسين على النطق السليم المبرأ من العيب بعد ذيوع اللحن .

– مشكلة الخلاف بين اللغويين :

إن مقياس الصواب هو جريان اللفظ كثيراً على السن العرب ودورانه في أفواه الفصحاء منهم . لكن نجد ان اللغويين من المتشددين لا يقبلون إلا الفصيح، ولا يتعاملون إلا به من التراكيب والالفاظ ،ويرفضون ماعداه ويعدونه لحناً وخطأ أو شاذاً نادر اً . فهم لا يلتفتون الى اللهجات الخاصة او اللغات الشاذة ولا يقيسون عليها، يقول الجواليقي : (اعتمدت الفصيح دون غيره ، فإن ورد شيء مما منعته في بعض النوادر فمطرح لقلته ورداءته ،ووضعنا ما يتكلم به أهل الحجاز وما يختاره فصحاء الأمصار ، فلا تلتفت الى من قال يجوز ، فإننا قد سمعناه) [٤] .

ومن جانب آخر نجد لغويين آخرين لا يلتزمون هذا الخط المتزمت الذي التزمه أعيان المدرسة الاولى ولكنهم يتساهلون فيجيزون كل ما سمع عن العرب ويزعمون أن

---

[١] إصلاح المنطق ٣١٢ .
[٢] ادب الكاتب ٧٨ .
[٣] المصدر نفسه ٢٩٨ .
[٤] المعرب من الكلام الاعجمي (المقدمة) ٦ .

كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم[١] فكل ما سمع عن عربي أو حكي عنه صحيح جائز لايكادون يخطؤون أحداً ، حتى قال الكسائي:(على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن إلا القليل) [٢] ،وأثر عن الخليل أنه قال: (لغة العرب اكثر من أن يَلَحَن فيها متكلم) [٣] ، ويقول ابن جني : (فالناطق على قياس من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه) [٤] ، وابن السيد البطليوسي يعارض الاتجاه الأول الذي يمثله الأصمعي ، يقول : (وقد أنكر الأصمعي أشياء كثيرةً كلها صحيح فلا وجه لا دخالها في لحن العامة من أجل إنكار الأصمعي لها) [٥] .

وهذا يعني أن المشكلة اتخذت جانباً آخر في الوقت الذي كانت الجهود متوجهةً لعلاج اللحن والحد منه ، فاصبحت المشكلة بين نزعتين نزعةٍ تميل الى التشديد وتنظر الى اللغة نظرةَ محافظٍ ، فلا تقبل أي خلل أو خروج على القواعد المرعية والقوانين المقررة ، وهذه بطبيعة الأمر قد ضيقت من مجال الاستشهاد وقصرته على القبائل والأفراد الذين أقروا لهم بالفصاحة ، ونزعةٍ تنحو نحو التحرير والتساهل ، وتتعامل مع اللغة بشيء من التبسط فوسعت من مجال اللغة وروايتها دون تمايز بين قبيلة وآخرى ، لأن كل ما سمع عنهم صحيح يجوز الاحتجاج به والقياس عليه .

وعلى هذا يستخلص أن الصراع الحاصل بين الفصحى والعامية ، وانحسار أو توسع احدهما على الآخر تبعاً للظروف الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع

---

[١] ينظر المنصف ١ / ١٨٠ .
[٢] نزهة الالباء ٨٢ .
[٣] الخصائص ٢ / ١٢ .
[٤] المصدر نفسه ٢ / ١٢ .
[٥] الاقتضاب ٢١٦ .

العربي وعلاقته مع الجيل الجديد ، ونتيجة اختلاط الأعاجم مع العرب توسعت المشكلة ، ووفق تطور الحياة رافق ذلك اهتمام الدارسين اللغويين لقسم من جوانب اللغة منها اللحن ، فأحدث ثغرةً أدت الى توسيع المشكلة . ثم أن المشكلة اتخذت طابعاً آخر هو النزاع الحاصل بين اللغويين انفسهم من مؤيدٍ للقديم رافض للجديد المتغير المحدث ، ومن مؤيد للجديد المحدث الذي ما إن استخدم اندثر بموجبه القديم واصبح المستعمل ما هو لحن أو خطأ ، وفق التطور اللغوي المزعوم .

إن مشكلة اللحن لا تزال عالقة ،إنها ككل المشكلات الانسانية الكبرى لا تقبل الحل النهائي ، إنها حيرت عقول المفكرين منذ قرون سحيقة ، ولا تزال تحيرها حتى الآن ، وستظل تحيرها الى ما شاء الله .

**مصادر البحث ومراجعه**

- أدب الكاتب : ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) تحـ : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣م .
- أساس البلاغة : الزمخشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) طبع دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٣م .
- إصلاح المنطق : ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق(ت ٢٤٤هـ) تحـ : أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٦م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ابن السيد البطليوسي ، أبو محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٥٢١هـ) طبع المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩٠١م .
- أمالي القالي : أبو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) منشورات دار الحكمة ، دمشق (د . ت) .
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) : الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ) طبع دار إحياء الكتب الحديثة ١٩٥٤م .
- إيضاح الوقف والابتداء : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ) تحـ: محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، ط١ ، دمشق ، ١٩٧١م.
- البيان والتبيين : الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) تحـ : عبد السلام محمد هارون ، طبع لجنة التأليف ١٩٤٨م – ١٩٥٠ م .
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : ابن مكي الصقلي ،عمر بن خلف (ت ٥٠١هـ) تحـ : عبد العزيز مطر ، طبع القاهرة ١٩٦٦م .
- تصحيح الفصيح : ابن درستوية ، عبد الله بن جعفر (ت ٣٤٧هـ) تحـ : عبد الله الجبوري ، طبع بغداد (د. ت) .

- تفسير الكشاف : الزمخشري ، محمد بن عمر (٥٣٨هـ) مطبعة الحلبي بمصر ١٩٥٦م .
- تقويم اللسان : ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) تحـ : عبد العزيز مطر ، دار المعرفة بالقاهرة ١٩٦٦م .
- الخصائص : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) ، تحـ : محمد علي النجار ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٢م .
- ديوان رؤية بن العجاج : (مجموعة أشعار العرب ج٢) نشره وليم بن آلورد ، طبع لايبزك ١٩٠٣م .
- ديوان لبيد بن ربيعة : تحـ : د. احسان عباس ، طبع الكويت ١٩٦٢م .
- زهر الآداب وثمر الألباب : الحصري القيرواني ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ) تحـ : علي محمد البجاوي ، ط١ ١٩٥٣م بمصر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ابن هشام ، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ) تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر، ط١٠ ، ١٩٦٥م .
- الصاحبي في فقه اللغة : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) طبع المكتبة السلفية ١٩١٠م.
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي، طبع البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥م .
- طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ) تحـ : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م .

- العقد الفريد : ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ) طبع لجنة التأليف ١٩٥٦م .
- الفاخر فيما تلحن فيه العامة : المفضل بن سلمة (ت ٢٩١هـ) تحـ : عبد الحليم الطحاوي ، نشر وزارة الثقافة بمصر ١٩٦٠م .
- الكامل في اللغة والأدب : المبرد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ) مطبعة الاستقامة بمصر (د. ت) .
- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) طبع دار صادر بيروت ١٩٦٨م .
- ما تلحن فيه العوام : الكسائي ، علي بن حمزة (ت ١٨٣هـ) تحـ : عبد العزيز الميمني ، (ضمن مجموعة ثلاث رسائل) طبع القاهرة ١٣٨٧هـ .
- مجالس العلماء : الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٣٩هـ) تحـ : عبد السلام محمد هارون ، طبع الكويت ١٩٦٢م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) تحـ: محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، ط عيسى البابي الحلبي بمصر (د . ت) .
- المعرَّب من الكلام الأعجمي : الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠هـ) تحـ : أحمد محمد شاكر ، طبع دار الكتب بمصر ١٩٦٩م .
- الملاحن : ابن دريد ، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ) تحـ : ابراهيم اطفيش الجزائري ، بغداد١٩٩٠م .
- مولد اللغة : الشيخ احمد رضا ، طبع بيروت ١٩٨٣م .

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد (ت ٥٧٧هـ) تحـ : د. ابراهيم السامرائي ، ط٣ ، الاردن ، ١٩٨٥ .
- النوادر : ابن الأعرابي ، محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ) تحـ : د. عزة حسن، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١م .